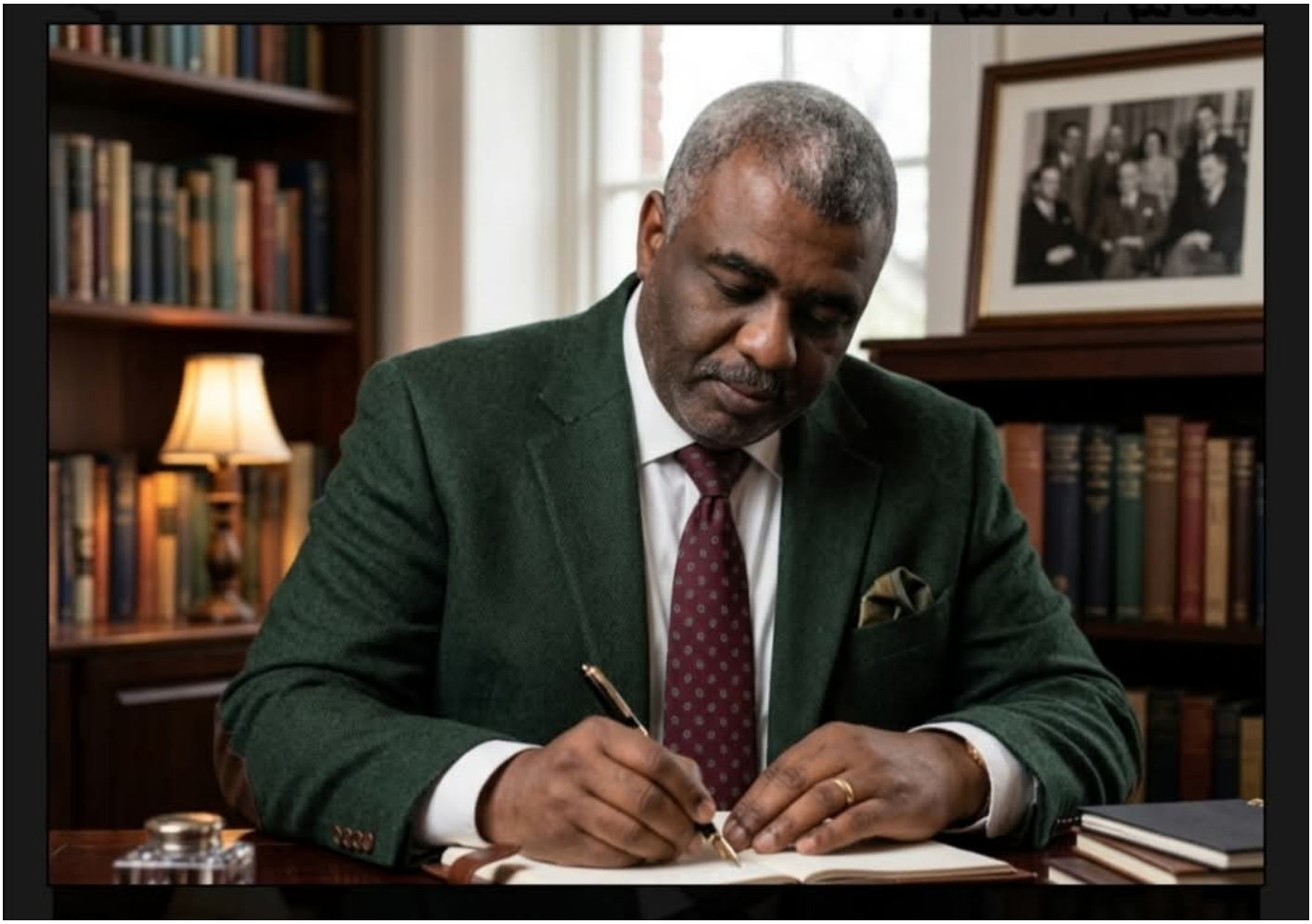
مقالات رأي

وجه الحقيقة | د. إبراهيم شقلاوي السودان.. بين الكهف والظلال

أضواء البيان • 27-11-2026 • 5 دقائق قراءة



في كتابه الجمهورية، يقدم الفيلسوف اليوناني أفلاطون واحدة من أجمل الأفكار المرتبطة بالقيم التي عرفت بكهف أفلاطون، حيث يعيش أناس مقيدون داخل كهف منذ ولادتهم، لا يرون سوى ظلال تتحرك على جدار أمامهم، فيعتقدون أنها الحقيقة كاملة، بينما هي مجرد انعكاسات للواقع خلفهم. وحين يتحرر أحدهم ويخرج إلى النور، يكتشف أن العالم أوسع بكثير مما اعتقد، وأن ما ألفه طوال حياته لم يكن سوى صورة ناقصة للمشهد. لكن المفارقة أنه حين يعود ليخبر رفاقه بما رأى، يقابلونه بالرفض والسخرية، لأن الحقيقة التي اكتشفها تهدد العالم الذي اعتادوا العيش فيه.

تبدو هذه الاستعارة الذكية مدخلا مختلفا لقراءة واقعنا ،فربما لم تكن بلادنا أسيرة لكهف واحد، بل لكهوف سياسية متجاورة، صنعتها الأيديولوجيا والاستقطاب ومصالح السلطة والتصورات المغلقة للدولة والهوية. داخل

كل واحد من هذه الكهوف رؤية خاصة، وجدار تعرض عليه صور الخصوم، ونار تغذيها المنابر السياسية والإعلامية، حتى أصبح كل طرف يرى ظلاله حقيقة، ويعتبر ظلال الآخرين تهديدا لوجوده.

وحين اصطدمت هذه العوالم في 15 أبريل 2023، لم يكن الانفجار مجرد صراع على السلطة والسلاح والوجود، بل كان أيضا لحظة انكشاف لأزمة الوعي السياسي وطبيعة الدولة التي عجزنا عن الاتفاق على مشروعها.

لقد اعتادت النخب السياسية إدارة الخلاف بمنطق الغلبة والإقصاء، وتحولت السياسة في محطات كثيرة من وسيلة لبناء الدولة إلى غاية لتقاسم السلطة والنفوذ. اختزل الوطن في جماعات وأشخاص، مواقف سياسية، وأصبح الخصم عدوا ينبغي إقصاؤه لا شريكا يمكن التوافق معه.

في هذا المناخ الملتبس، تراجعت الحقائق أمام الروايات المصنوعة، وأصبح امتلاك المنبر أحيانا أهم من امتلاك الحجة، والسيطرة على تفسير الأحداث أهم من معالجة أسبابها. فوجد المواطن نفسه محاصرا بسيل من الخطابات المتناقضة، فيما تراجعت قدرة الإعلام على أداء دوره في كشف الوقائع والحقيقة ومساءلة مراكز القوة ومقاومة الخذلان والتضليل.

إلي أن وقعت الحرب في 15 أبريل 2023، فأخرجت السودانيين إلي كهف آخر، أكثر التصاقا بحياتهم اليومية ،كهف الاعتياد على اختلال الدولة. فحين اضطر الملايين إلى مغادرة البلاد إلى بلاد أخرى، وجدوا أنفسهم أمام تجارب مختلفة، اكتشفوا فيها أن الأمن ليس امتيازا، وانتظام الخدمات ليس معجزة، واحترام القانون ليس شعارا، وأن المؤسسات يمكن أن تعمل دون أن تتوقف حياة الناس على مزاج المسؤل أو العلاقة به.

رأوا مجتمعات تجعل الإنسان محورا لاهتمام الدولة، وتحول الموارد إلى خدمات، والسلطة إلى مسؤولية، والسياسة إلى وسيلة لإدارة التنمية وتحسين الحياة. وهنا نشأت المقارنة المؤلمة، كيف استطاعت دول، بعضها لا يمتلك ما يملكه السودان من موارد وإمكانات، أن تحقق قدرا من الاستقرار والتنمية، بينما ظلت بلادنا تستنزف طاقتها ومواردها في صراعات السلطة وإعادة إنتاج الأزمات؟

ليس المقصود أن المجتمعات التي استقبلت السودانيين خالية من مشكلاتها، لكن كشفت تجربة الاغتراب ،ما كان يمكن أن يكون عليه السودان لو أحسن توظيف موارده وإدارة مؤسساته. فالفارق لا تصنعه الثروات وحدها، بل تصنعه فلسفة الحكم، ونوعية المؤسسات، وترتيب الأولويات، وطبيعة العلاقة بين المسؤول والمواطن.

لذلك ثمة فارق جوهري بين من يدخل السياسة ببرنامج وفكرة ليجعلها طريقا لبناء الدولة وتحسين حياة الناس، ومن يتخذها طريقا لبناء نفوذه ومصالحه الخاصة ، ففي الأولى تكون السلطة وسيلة للتنمية، وفي الثانية تصبح التنمية شعارا لتبرير الوصول إلى السلطة والبقاء فيها.

والمفارقة أن المجتمع السوداني، الذي عجزت قواه السياسية عن حمايته من الانقسام، استدعى وسط المحنة قيما ظلت أعمق من صراعات النخب، فظهرت التكايا والنفير والمبادرات الشعبية، وتقدمت المروءة والتكافل حيث تراجعت الأحزاب والمؤسسات. وكأن السودانيين، ببعدهم عن ضجيج المنابر، استعادوا حقيقة اجتماعية وإنسانية ظلت محجوبة خلف الظلال السياسية. وهي حقيقة تؤكد أن المجتمع يمتلك من الرصيد الأخلاقي والتضامني ما يمكن أن يشكل أساسا لإعادة بناء الدولة، إذا وجد القيادة.

لذلك الخروج من الكهف، في فلسفة أفلاطون، هو الانتقال من أسر الأوهام والظلال إلى إدراك الحقيقة، أي التحرر من الأفكار الموروثة والاستقطاب البائس، وامتلاك الشجاعة لمراجعة الذات ورؤية الواقع كما هو. فالمشكلة ليست في المكان الذي نعيش فيه، بل في الوعي الذي نحمله معنا لصناعة المستقبل .

من زاوية #وجه_الحقيقة، ربما كانت أقسى مفارقات الحرب أننا خرجنا من بلادنا. بحثا عن الأمان، فواجهنا في المنافي واقع أشد قسوة : لماذا استطاع آخرون أن يجعلوا السياسة طريقا إلى التنمية، بينما ظلت عندنا طريقا للسلطة والمغانم ؟ إن السودان اليوم لا يحتاج إلى الإعمار فقط ، بل إلى تحرير العقل السياسي من الأفكار والممارسات التي اورثتنا الخراب. فليس أخطر من أن يخرج الإنسان من الكهف، ثم يعود ليبني داخله بيتا من جديد.

دمتم بخير وعافية،،،

الثلاثاء 24 نوفمبر 2026 م Shglawi55@gmail.com

https://almuhit-adn-news.com/news/4491/وجه-الحقيقة-د-إبراهيم-شقلاوي-السودان-بين-الكهف-والظلال
© 2026 شبكة المحيط الإعلامية — جميع الحقوق محفوظة